أولاً : مفهوم الحرية وموقف الاتجاهات الفكرية منه:

أ- مفهوم الحرية : إن قضية الحرية من القضايا المحورية التى لابد للمفكر العربى المعاصر أن يطرحها علـى مائدة بحثه، وليس هذا بغريب، حيث أن تلك القضية شغلت الفكر الإنسانى – والفلسفى منه بصفة خاصة – فقلما نجد فيلسوفاً لا يدلى برأيه فى تلك القضية، بل لا يقتصر الأمر عند هذا الحد،بل نجد رجل الشارع بشكل أو بآخر يتناول تلك القضية وتشغل تفكيره.

ويعد تحديد مفهوم الحرية أمراً غير يسير، وبالتالى ليس من السهل الكتابة فى موضوع الحرية لأنه ملىء بمواطن الغموض، فهى تطرح على مستويات عديدة، من بينها اللغة والدين والحياة السياسية والاجتماعية والفلسفة .وكل جانب من تلك الجوانب يطرح القضية من زاوية تختلف عن باقى الزوايا التى يتناولها غيره.

فعلى الصعيد اللغوى(1) نجد أن كلمة حرية تقابل الرق، فالفرد من الناس إما أن يكون حراً ذا حقوق وواجبات، وإما أن يكون عبداً لغيره، فلا حقوق له إلا ما يأذن به مولاه،وهذا المعنى هو الذى استقر فى التراث الإسلامى كما سيبين زكى نجيب .

وبالنسبة لمفهوم الحرية فى الدين، فقد دار المفهوم بين موقفين: الأول يذهب إلى أن الإنسان يملك قدرة حقيقية فى خلق أفعاله،وبالتالى فهو المسئول الحقيقى عن تلك الأفعال،وهذا الموقف يتمثل فى المعتزلة، أما الموقف الثانى فهو موقف الجبريين، وخلاصته أن الإنسان لا يملك الحرية أو الإرادة فى خلق أفعاله، بل إن جميع الأفعال مقدرة سلفاً وهؤلاء هم أنصار جهم ابن صفوان، وقد وقف ابن رشد موقفاً نقدياً تجاه تلك الآراء(2).

إن كلا الفريقان قد وجدا أن القرآن الكريم قد صور لنا الإنسان تارة يملك إرادته وأنه كائن مختار، وتارة أخرى أن الإنسان مسلوب الإرادة وأفعاله مقدرة عليه، فمن الآيات التى تؤيد حرية الإرادة قوله تعالى:" فَمَن شَآءَ فَليُؤمِن وَمَن شَآءَ فَليَكفُر"(الكهف آية:29)،"مَّن عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفسِهِ وَمَن أَسَآءَ فَعَلَيهَا"(فصلت آية:46) أما الآيات التى تدل أن الإنسان مجبر،كقوله تعالى:" وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَىءٍ إنِّى فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إلاَّ أَن يَشَآءَ اللَّهُ"(الكهف أية:23،24)وقوله تعالى:"وَرَبُّكَ يَخلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَختَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ سُبحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشرِكُونَ"(القصص آية:68).

أما فى مجال السياسة(3) فإن الحرية لا تطـرح بهذا الشكل النظرى السابق بل تأخذ

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

1. **المعجم الوسيط: ج1، مادة حرر، ص 171 .**
2. **د.عاطف العراقى: تجديد فى المذاهب الفلسفية والكلامية، ص 45 وما بعدها. وأيضا .د.أبو الوفا الغنيمى التفازاتى:علم الكلام وبعض مشكلاته، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ،1979م،ص 135 وما بعدها.**

**(3) Stanford Encyclopedia of philosophy. Liberalism: http:// Plato stanfoed.edu/entries/liberalism**

شكلاً عملياً، كمطلب للفرد فى وجه السلطة السياسية، وتعد فلسفة التنوير فى القرن الثامن عشر خير ممثل للمطالبة بتلك الحرية.

بالإضافة إلى أن الثورة الفرنسية قد تبنت الكثير من المطالب التى تكفل للفرد حريته السياسية،ويعد كتاب جون ستيورت ميل **John,Stuart,Mill** (1871-1976م) حول الحرية الصادر سنة 1859م خير ممثل للمطالبة بهذه الحريات المجسدة للفرد(1)حرية المعتقد، حرية عقد الاجتماعات، حرية الفكر، حرية الصحافة، وحرية تأسيس الأحزاب هذه الحريات هى بمثابة حقوق ينتزعها الفرد من السلطة لتخفف عنه قسر المجتمع، ويحمى القانون هذه الحقوق فى وجه تعسف السلطة، وهى فى جملتها تشكل الحقوق المدنية أو السياسية للفرد.

أما عن الفكر الفلسفى واهتمامه بقضية الحرية، فقد طرحت تلك القضية منذ الفكر اليونانى وحتى الفلسفة المعاصرة والتى أولت اهتماماً خاصة بالحرية والتأكيد على ضرورة ممارستها،وتعد الفلسفة الوجوديون(2)بمثابة صرخة ضد كافة أنواع الاستلاب بل وقد وحد الوجوديين بين وجود الإنسان وحريته .

وبصفة عامة فإن هناك قطبان يتجاذبان مفهوم الحرية الفلسفى، القطب الأول هو قطب التأمل الذى يجعل من الحرية أمراً ذاتياً يولى ظهره للعمل والممارسة، والقطب الثانى يدخل العمل كبعد أخير للحرية (3).

ب- موقف الاتجاهات الفكرية من الحرية : أما عن مفهوم الحرية فى الفكر العربى المعاصر، فيمكن القول أن قضية الحرية كانت الشغل الشاغل للكثير من مفكرينا، وهذا ما يؤكده زكى نجيب فى الكثير من كتاباته فيقول:"إننا إذا رجعنا صحائف حياتنا الأدبية والفكرية منذ أواخر القرن الماضى وحتى اليوم، لم نجد كلمة تنافس كلمة **الحرية** فى ترددها على أقلام الكتاب وألسنة الخطباء والمتحدثين،فالحرية-إذن-كانت هى قضيتنا الأولى،وقضيتنا الكبرى"(4).

فقد كان رفاعة الطهطاوى(5) أول الداعين فى فكرنا العربى المعاصر إلى الحرية وقد قسمها إلى حرية طبيعية، حرية سلوكية،حرية دينية، حرية مدنية،وحرية سياسية ثم جــاء الأفغانى(6) يبث فى نفوس الناس ضرورة الإيمان بالحرية،وقد ركز على الحرية السياسية. وكان له دور كبير

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

**(1) جون ستيوارت ميل : الحرية،ترجمة :طه السباعى،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،1996م،ص 25 وما بعدها .**

**(2) د.زكريا إبراهيم: دراسات فى الفلسفة المعاصرة، ج1، ص 506 وما بعدها**

**(3) الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد الأول، مادة حرية، ص 366 .**

**(4) د.زكى نجيب محمود : قيم من التراث ص 221 ، وأيضا حصاد السنين ص 104 .**

**(5) رفاعة الطهطاوى : الأعمال الكاملة ، ج 2 ، ص 433 وما بعدها .**

**(6) جمال الدين الأفغانى : الأعمال الكاملة : ص 521 .**

له دور كبير فى قيام الثورة العرابية، ولم يكن محمد عبده(1) سوى صيحة للتحرر فكتب الكثير من المقالات ليحرر حياتنا الدينية مما علق بها من خرافات، وليحرر العقول من الجهل، وكانت الحرية عنده بمثابة التنوير،وقد أكد أيضا على حرية الإرادة الإنسانية،ودعا إلى تحرير الفكر من قيد التقليد .

وقد ركز أيضا الكواكبى(2)على الحرية حينما كتب كتابه الشهير طبائع الاستبداد حيث صب غضبه على التسلط والحكم المطلق وكذلك أديب اسحق(3)، وشغلت الحرية كل من قاسم أمين (4)، ولطفى السيد(5)، فالأول أراد أن يحرر المرأة من كافة أشكال الاستبداد التى لحقت بها، والثانى قد ركز على الحرية السياسية والفكرية، ويرى زكى نجيب أن سنوات العشرينيات و الثلاثينيات قد شهدت أبعاداً جديدة للحرية لم تطرأ للسابقين على خاطر فيقول:" فهاهنا العقاد يدعو إلى تحرر الشعر والفن بصفة عامة، إلى الحد الذى يمكن الفرد من توسيع فرديته إلى آخر مدى مستطاع، وهنا سيد درويش (1893-1923م) يحرر الموسيقى من صنعتها القديمة التى كانت تستهدف الطرب لتصبح تصويراً أو تعبيراً لمـا يتردد فى صدور الناس بكل فائتهم، وهنا طلعت حرب (1867-1942م) وقيادته للتحرر الاقتصادى بإنشائه لبنك مصر و شركاته،وهنا على عبد الرازق يحرر مفهوم الحكومة الإسلامية من تقليد الخلافة،وهنا طه حسين بمنهجه فى البحث الأدبى الذى أراد به أن يحل منطق العقل محل الميل مع عاطفة التقاليد …"(6) .

إذن ففكرة الحرية كما قال زكى نجيب تعد القضية الأولى والرئيسية للفكر العربى وإن كان قد وقف وقفة تحليلية نقدية تجاه مفهوم الحرية سـواء فى التراث أو عنـد المفكرين المعاصرين .

فأما عن التراث فيرى أن أسلافنا لم يتناولوا الحرية بمعناها السياسى أو الاجتماعى وهما المعنيان اللذان تدور حولهما أرجاء الحياة المعاصرة وإنما أقتصر فكرهم عند المعنى الذى يقابل الـرق، فالفــرد من الناس إمـا أن يكون حراً ذا حقوق وواجبات، وإما أن يكـون عبــداً مملوكاً لغيره، فلا حقوق له إلا ما يأذن له به مولاه، وكل ما يأمره به مولاه هو واجب محتوم(7).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

**(1) محمد عبده : الأعمال الكاملة ، ج 3 ، ص 386 ، ج 1 ، ص 350 .**

**(2) عبد الرحمن الكواكبى : طبائع الاستبداد ، دار الشرق العربى ، بيروت ط 3 ، 1991م، ص 28 .**

**(3) علاء الدين وحيد : أديب اسحق عاشق الحرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1998م، ص 41 .**

**(4) قاسم أمين : الأعمال الكاملة ، ص 436 .**

**(5) د.عصمت نصار: فكرة التنوير عند أحمد لطفى السيد و سلامة موسى ، 242 .**

**(6) د.زكى نجيب محمود : مجتمع جديد أو الكارثة ، ص 66 .**

**(7) د.زكى نجيب محمود : تجديد الفكر العربى ، ص 73 .**